التملق و المدح على حساب الفكر النقدي المستقل وعلى حساب شرف وكرامة الإنسان

بقلم أحمد رواجعية، بروفيسور جامعة المسيلة

لا أبالغ اطلاقا اذا صرحت بأن ثقافة التملق و المدح أصبحت اكثر من أي وقت مضى لدى الكثير من البشر العاجزين عن الإنتاج الفكري والنقد العلمي المستقل هي السبيل الوحيد للترقية والحصول على مناصب إدارية عليا ثقافية كانت أو سياسية.

الى جانب السرقات العلمية (le plagiat) التي انتشرت في بلادنا بصورة مدهشة والتي أدت الى ارتفاع عدد" الدكاترة "و أساتذة التعليم العالي المزورين فإن عدد الملاقين أو" الشياتين "قد ارتفع أيضا على صعيد كل المؤسسات العمومية من بينها الجامعات التي تغيرت إلى شبه معامل ضخمة تساهم في صنع وإنتاج الرداءة ومنح الجوائز والتكريمات إلى جماعات وأفراد يفتقرون للثقافة والعلم كما يتبين ذلك من خلال عجزهم عن تركيب جملة مفيدة سواء في الشكل أو في المضمون.

وما يجب الوقوف عنده والتشديد عليه، ان هناك أصنافا من الأفراد لا يهمهم لا شرفا ولا كرامة ولهذا السبب نراهم يتلينون ويتملقون للمسؤولين بغية الحصول على منصب اداري او سياسي، وهذا الصنف بالذات من الافراد فقيد الشخصية و"النيف "تراهم يتلذذون الشتم والإهانة والذل من قبل سادتهم .وبصفتي ملاحظا وشاهد عيان قد رأيت مرارا و تكرارا عمداء ورؤساء أقسام وأساتذة ينثنون وينطوون أمام المدير الأسبق لجامعة المسيلة ويخاطبونه بصوت منخفض، وينزلون رؤوسهم رعبا منه ...ويبينون عبر كلامهم اللين ورطوبتهم وارتجافهم كل سمات الجبن وفقدان الرجولة والشرف والكرامة .و لا أبالغ أيضا اذا قلت أنهم كانوا يقدسونه وكأنه آله . وعبارة"يا سيدي الرئيس، حاضر "يأخذ في أفواههم معنى العبادة و التقديس و يرددون كلمة" حاضر "و هم يرتعشون أمامه مثل أوراق الشجرة التي ترتعش تحت هبوب الرياح ... وتراهم يركعون و يخشعون لسيدهم الرئيس أكثر مما يخافون من الله عز وجل و هذا التقديس او تحويل العبادة من الله إلى الإنسان يتناقض تماما مع مفهوم الإيمان و الشرف وكذا الدين الإسلامي الذي يحرّم تقديس الأشخاص ... والركوع إليهم ...

إن التملق أصبح لدى الكثير" مهنة "ووسيلة لبلوغ أهداف غير شريفة و البعض من هؤلاء الملاقين يتصرفون بصورة" مزوشية (masochiste) "أو مثل المرأة التي لا تجد سعادتها و راحتها النفسية إلا عندما يضربها ويشتمها زوجها.... وهذا الصنف من الأفراد فهم في الواقع ليسوا إلاّ من سفلة الناس ...وأكثر مذلة.

ومن أوضح الأمثلة على ذلك: الأستاذ الجامعي والعميد الذي يمدح سيده المدير ويبالغ في مدحه ويتصرف إزائه وكأنه غلام. كل هذا يبين بوضوح المستوى الأدنى الذي بلغ إليه بعض الأساتذة الوصوليين في جامعتنا.

إن المدير الأسبق لجامعة المسيلة كان يشتم ويذل إحدى عمداءه باستعماله كل الألفاظ القبيحة دون أن يرفع واحد منهما رأسه ليحتج ضد هذا التصرف التعسفي و المهين.

وهذا المدير لم يكن هو الوحيد الذي يذل مساعديه وموظفيه من أساتذة وإداريين على حد سواء بل هناك آخرين أيضا ومن بينهم نضيره مدير جامعة محمد خيضر ببسكرة الذي عين على رأسها منذ أوت سنة 2000م و الذي مازال يتأمل حتى الآن البقاء فيها كمسير، قد أخضع هو أيضا لسلطته أكثر من ألف أستاذ ولا أحد يتجرأ بإظهار غضبه وسخطه إزاء تعسفه المطلق. فهذا الرجل الذي اصطنع لنفسه نسبا مع الوزير الأسبق رشيد حراوبية ليحتمي به ويدافع عنه قد توصل بهذا الأسلوب الحديدي الى فرض هيمنته على جامعة بسكرة وجعل منها شبه إمارة وراثية قابلة للمقارنة مع إمارة مناكو.(La Principauté de Monaco)

ومن أوضح الامثلة على ذلك الشهادة الآتية : بمناسبة لقائه مع زميلين لي عام 2009 في الوقت الذي كنت موقفا اعتباطيا من العمل من قبل المدير الأسبق لجامعة المسيلة الذي يدعى هو أيضا بأنه صديق الوزير حراوبية وصديق السعيد بوتفليقة قال لهم مدير جامعة بسكرة حرفيا ":جاني رواجعية ليتوظف كأستاذ لكنني طردته و رفضت توظيفه عندي "...و كأن جامعة بسكرة ملك خاص به ! وما قاله مدير جامعة بسكرة كان صحيحا لكن رفضه لي لم يكن مباشرا لأنه لم يستقبلني إطلاقا عندما توجهت عام 2005 نحو مكتبه و طلبت بواسطة مساعديه لقاءا معه لكن بدون جدوى. كنت حينها مرفوقا بإثنين من مساعديه هما عبد الرحمان برقوق عميد كلية العلوم الإنسانية و الاجتماعية والأستاذ عبد العالي دبلة اللذان دخلا إلى مكتبه وبعد نصف ساعة عادا الي قائلين ":متأسفين أن المدير في اجتماع مع والي بسكرة ."! بينما أنا كنت متأكدا بأن المدير كان في مكتبه لأن الأساتذة السالفين الذكر اتصلوا به هاتفيا بحضوري دون أن يعلموه بوجودي معهم.

وقال لهم" :أصعدوا "! فصعدنا...و من خلال رفضه لاستقبالي استنتجت بأن هذا المدير لا يرغب في عودة "الأدمغة" الوطنية من الخارج إلى البلد الأم .وله خلفيات سلبية إزائهم بدون شك ولا تختلف عن الفكرة التي شكلها الوزير حراوبية الذي نصبه كمدير جامعة بسكرة على أساس العرق و الجهوية.

الشيتة و الشياتين

هذه الكلمة العامية تعبر أحسن من اللغة العربية الأكاديمية لأنها تعكس بصورة اصدق وأعمق لبعض الممارسات الاجتماعية. ومن هنا اشاطر السيد نور الدين جباب لما يقول :"الشيتة " تعبير عامي، قد يتعذّر إيجاد مرادف مطابق في اللغة العربية يؤدي نفس المعنى والدلالة، لأن مفردة شيتة في الخيال الشعبي لها أكثر من بعد ومعنى ودلالة، فهي تشتمل على عدة صفات، فلا يكفي أن نقول مثلا إن مرادفها في اللغة العربية هو التزلف الذي يعني التقرب بمهانة وإذلال".

و يضيف قائلا: «الشيتة "تشمل المهانة والإذلال، وتشمل صفة أخرى أيضا على غاية من الأهمية وهوالتلميع".

الإنسان ''الشيات''، فهو من جهة يتقرب في ذل ومهانة، وفي الجهة الأخرى يعمل على تبيض وتلميع وصقل صورة ''المشيت'' له حتى ينال رضاه ويقضي حاجاته..لكن تجارب الحياة تخبرنا أنه يوجد نوع من بشر، وليس كل البشر، يتحلون بهذه الصفة ولا يعرفون وليس بإمكانهم العيش بدونها.

"إن من يجعل الذل والتذلل والرخص وسيلة للعيش وأسلوب حياة، يكون قد سقط أخلاقيا ونفسيا وتتجلى بشكل خاص، فيكثر في تفكك نسيجه النفسي الداخلي، ويكون فاقد الثقة في النفس وفي المحيط والناس فيلجأ، بسبب الجبن المتأصل، وهي صفة مرادفة للشيات، إلى الحيلة،الخبث، اللؤم، الغش، الخداع، الكذب والتدليس في التعامل مع العالم الخارجي، حتى مع أقرب المقربين.

هذه من سمات العبيد وذهنية العبيد وأخلاق العبيد، حتى وهو يحمل أعلى الدرجات العلمية أو أعلى المراتب السياسية. لذلك لا غضاضة عنده في دخول سوق النخاسة، ويتاجر بكل شيء وفي كل شيء حتى بكرامته وشرفه وعرضه وتتحول إلى سلعة للبيع.

في هذا المقام، قد يسأل سائل هل الشيتة صفة ''رجالية'' تستثنى منها النساء، إنها صفة عامة تنسحب على الجنسين، فقط المرأة لما تقرر ممارسة ''الشيتة'' تختزل الطريق والمتاعب والجهود المضنية وتستلقي على ظهرها في أول سرير ."

هذا النوع من الممارسات قد وجد في جامعة المسيلة فضاء خصب لاستغلاله من قبل أقلية من الانتهازيين . و لدينا حجج عدة تبرهن عن ذلك.ان الرجل الذي يمثل هذا التيار الانتهازي و الوصولي و الذي لا يتردد أمام استعمال كل الوسائل ، وفي مقدمتها– استغلال العلاقات العامةles relations publiques– من أجل الوصول الى الغاية المنشودة الا وهي البلوغ "للقمة"،هو السيد رئس الفرع النقابي لأساتذة ألتعليم العالي (الاتحاد العام للعمال الجزائريين). أن هذا السيد الذي يزعم بأنه الممثل الشرعي لهذا الفرع فهو في الواقع لا يمثل الا نفسه لأن طريقة تنصيبه ظلت حتى الآن غامضة وموضوع جدل حسب المعطيات المتوفرة لدينا. , من جهة أخري أن عدد أتباعه الأوفياء والمخلصين لا يفوق اثنان أو أثلاثة أفراد...والشيء الآخر الذي يثير التساؤل هو كيف ان شهادته للسانس في السوسيولوجيا سمحت له ان يتحصل على ماجستير في الرياضة ويدرس هذه المادة بصفة أستاذ مساعد "أ" في معهد الرياضة ؟أليس هذا لغزا؟

ورغم كل هذا، أن السيد محمد دحماني أظهر قدرته في تنظيم عدة ملتقيات في ألآونة الأخيرة داخل الحرم الجامعي، لكن كل هذه التظاهرات اتخذت أشكالا "فولكلورية" و تكريمية محضة وان كانت قد سميت بتسميات تارة"علمية" و تارة "ثقافية". و الحق يقال: أنا كنت من بين أولائك الذين استفادوا من "التكريمات" التي نظمت بتاريخ 25 ماي 2015 بقاعة" عبد الحميد أعلاهم"، و استفادتي هذه كانت منحي محفظة سوداء من نوع ممتاز ومع ذالك ان هذه الهدية الثمينة لم تخفف من غضبي الذي أزداد حدة لسبب الجانب "الفولكلوري" و المسرحي الذي اتسم به هذا "الملتقى" الذي أقتصر على المدح و "البندير" والمجد وتعظيم الشخصيات الموجودة في المدرج وكل هذا تم علي حساب الحوار ومواجهة الآراء و الأفكار بين المدعوين الذين لم

تعطي لهم أي أدني فرصة لتدخل أو لطرح أسئلة ما. أن البطل الوحيد–رجل الساعة–الذي يأخذ الكلمة اثناء هذه المناسبة و يقول الكلمة الأولى و الأخيرة و يوزع ،بالتالي ، الأدوار، ويمجد من يشاء و يذم من يشاء، هو منظم الملتقى، أي هو السيد دحماني محمد الذي يحاول بشتى الوسائل فرض نفسه كشخصية مفيدة، محليا، في الميدان الثقافي والعلمي وحتى السياسي. وهذه الطموحات الضخمة هي التي تدفعه دائما لتقرب من الشخصيات الثقافية و السياسية ذات "النفوذ"، مما يفسر الدعوات الذي يقدمها في تلك المناسبات للوجوه المعروفة وطنيا ومحليا: السيد والي ولاية المسيلة،محند برقوق مدير الأسبق للمدرسة الوطنية العليا للعلوم السياسية و شخصيات أخري لا علاقة لها بالتعليم العالي و البحث العلمي.

وللتذكير إن كل "الملتقيات العلمية" المزعومة التي نظمت من طرف السيد دحماني في جامعة المسيلة قد جرت تبعا لنفس الأسلوب السابق الذكر: تكريمات، تشريفات، مدح، خطب رنانة و خاوية من المعني؛ حلويات و مكسرات؛ حلويات ومشروبات إلى آخ. والشيء الذي يثير الحيرة والدهشة هو أن بعض المؤرخين المحليين الذين جعلوا من الثورة التحريرية "مهنة" لهم و من قلعة بني حماد الواقعة في المعاضيد "كعبتهم" المقدسة، قد ساهموا ولا يزالوا يساهمون في هذا النوع من الملتقيات" الكاريكاتورية" المضحكة التي لا تشرف لا جامعة المسيلة و لا البحث العلمي علي العموم.

دور مراكز البحث والتفكير في إستشراف التحولات الأمنية

في 23 افريل 2015 الأستاذ محند برقوق قد استضيف من قبل السيد دحماني ليلقي محاضرة "علمية" تحت العنوان التالي: "دور مراكز البحث والتفكير في استشراف التحولات الأمنية الجديدة" و بدلا من "الندوة العلمية" المذكورة أعلاه، بدأت و انتهت هذه الندوة بخطاب السيد دحماني يمجد فيه ضيوفه الكرام (السيد الوالي والبروفيسور برقوق) وقبل أن يلقي هذا الأخير محاضرته المعنونة أعلاه، بدأت التكريمات، ثم بعدها أحيلت الكلمة إلى أستاذ محاضر في "البسيكولوجي" ليرحب بالضيوف "الأفاضل"، وذالك على النمط التالى:

"بسم الله باسط الأرض'رافع السماء'خالق ادم'معلمه الأسماء ثم الصلاة و السلام على أمام الأتقياء' وعلى أله وصحبه الأجلاء والسائرين علي درب شريعته الغراء.

أما بعد

جمعنا الكريم'أفاضل الأساتذة'فضليات الأستاذات'طلبتنا الأعزاء' أسعدتم صباحا وسلام الله عليكم جميعا حللتم أهلا'ونزلتم سهلا في رحاب جامعة محمد بوضياف بالمسيلة'وهي تحتفي بثلاثينية تأسيسها صرحا علميا رائدا.

ونيابة عن منظمة اليوم الدراسي'نوجه جميل عبارات الترحيب' والشكر الى كل الأساتذة' و الأستاذات على اختلاف مشاربهم الفكرية والذين شرفونا بحضورهم من مختلف جامعات الوطن. أحي الجزائر وأخطب في نواديها وأبعث لها الشوق قاصيها ودانيها.

وفاتحة يومنا الدراسي هذا الدافئ بحضوركم'تحية الى شعب البطولات' وتحية الى أساتذة التحرير الذين كتبوا بالدم القانب مسيرتهم"

هذه المقالة تبين بصور أصدق الرداءة العلمية التي تميز الكثير من أساتذة التعليم العالي الذين يقتصرون على حفظ جمل و عبارات رنانة خاوية تماما من المعنى معتبرين إياها علما صافيا. ويعتقدون في نفس الوقت أن تجميل وزخرفة الجمل والأفعال اللغوية تعطي لهم الصبغة العلمية وترفع بشأنهم. إضافة إلي ذالك فهم يعتبرون وكأن التملق والمجد و المبالغة في شكر ما يسمونه ب "السلطات العليا" هو واجب "علمي" و **"**أمانة علمية**"**. وفي غياب الأفكار والفكر النقدي المستقل فهم يلجؤون دائما إلى الحشو ليخفوا عن الأعين فقر فكرهم البائس.